هل أدّى النقد العربيّ رسالته ؟

جواب السيدة وداد سكاكيني

لو ترك الانسان على طينته في تصرفه ومعيشته وفي تعبيره وشعوره لبدا منه ما يكون فوق الجنون . والمرء حين يحس أن ليس هنالك أعين تراه ولا قيد يقيده يأتي باعمال لو سحب لها شريط مسجل في التصوير والكلام ثم عرض عليه لأنكر نفسه ولتوارى من قومه خجلا وخزيا . إذن فرد الاستقامة الانسانية هو للنقد في كل شيء . فاذا كان الادب تعبيراً عن الحياة ، فان النقد هو الضامن لقيمته وتأثيره والكفيل بتقويمه وتوجيهه وتبيان ما اضاف الى ميراث الفكر والفن من روعة وإبداع.

وقد كان من حظ الادب الغربي المعاصر ان يزدهر بروحه وعبقريته وان يمضي الى غايته في رقبة نقاد أعدتهم ثقافتهم ومزاياهم لهذه المهمة الخطيرة فرعوا نهضة الادب بوعي واخلاص ، وكان يترامى على نقدهم الادب والادباء لا كترامي الفراش على النور ليحترق بل لتتألق تلك الآثار الفكرية والفنية التي يعد اصحابها النقد بمنزلة الماء للأرض الظمأى . وكم سمعنا الحديث عن شاعر أو اديب مات مجهولاً أو مغمورا ، لأنه لم يحظ بالنقد ، فأين نحن في حياتنا الأدبية من هذا النقد ؟

كان النقد في ادبنا المعاصر منذ عشرين عاماً او تزيد خيراً مما هو عليه اليوم ، إذ تصدى له في مصر والبلاد العربية متمرسون بالأدب مخلصون له أجادوا وأفادوا فيما جددوا ، وحققوا من امور في حياتنا الفكرية . وقد سبقوا الى الاتصال بثقافة الغرب ومناهج البحث والنقد فألفوا الكتب في هذه الموضوعات ونشروا الفصول في التمحيص والتقويم ، وانكروا بعنف وتهكم ما وجدوا من ضعف وانحراف في آثار الشعراء والادباء، فانبسطت الشهرة لمن ادركه النقد وتناوله بالتقدير او التعيير ، ولما شغلت الحياة هؤلاء النقاد ومستهم السياسة بسحرها ضاقت اوقاتهم فلم يتفرغوا للنقد الادبي كما تفرغوا من قبل . وقد اصيب الأدب من جراء ذلك ولاسباب اخرى بنكسة ودب فيه الضعف والابتذال ، فانطلق كل اديب او متأدب الى ما يريد بغير رقيب، ومضى كل طامع بالشهرة الى عصا النقد يلعب بها ليلفت النظر اليه ، فلم يعبأ به من كان ينبغي ان يسحبها من يده برفق ويدله على طريق المجد، ولو وجد الناقد المنشود لخف الانتكاس ولعاد ادبنا يؤدي رسالته المرجوة .

وما عرف أدبنا المعاصر نضرة وازدهاراً إلا في عهد النقاد المخلصين الذين كانوا كالأطباء للمرضى ، فالطبيب ينسى اضغانه حين يجس النبض ويتلمس مواضع الداء ولو للاعداء ، ويبذل علمه وعنايته حتى الشفاء

أما النقد الادبي اليوم اذا وجد فهو إما مجاملة او تحيزاً ، وإما تجريحاً وتشفياً ، وقليلًا ما تقرأ نقداً موضوعياً مبنياً على الحقيقة والمعرفة والاخلاص . إن مصدر كل شيء في الحياة نفوسنا وسرائرنا ، فاذا صفت آثارها وطابت مجانيها ولا بد من يوم قريب او بعيد — حسب التطور الذي هو اقوى منا جميعاً — تسطع فيه شمس المعرفة الخالصة والسمو بالأدب فوق الدخائل والطوايا ، ويومئذ يحق لنا ان نباهي بادبنا المعاصر الذي ينبغي ان يقومه النقد ويتعهده بالعناية والتقدير .

جواب الاستاذ ع اللطيف شراره

سبق لأدباء العربية في العامين الماضين ان مروا بتجربة طريفة ، اذ اثارت صحف لبنان الادبية مشكلة الانضواء في الادب ، والالتزام ، والاعتزال ، والمثالية والواقعية ، وخاض الجميع في هذا الحديث، واشترك اكثر المعنيين بالأدب العربي في إبداء الرأي وبيان الحجة عليه .

ولم ينته احد من تلك التجربة الى نتيجة حاسمة ، وقرار قاطع ، لأن كثرة الاصوات التي ارتفعت ، وتعدد الموضوعات التي اثيرت ، وتشابك المشكلة وعلاقاتها بالعلم والفن والاجتماع والسياسة، تركت كل امرئ ءموضعه، واوقفته عند رأيه دون ان يتقدم او يتأخر .

ولكني انتهيت ، بعد ان استجمعت كل ما كتب حول هذا الموضوع ، الى ان النقد الادبي يأخذ جذوره في « الفلسفة العامة » التي يعتمدها الناقد في فهم الكون والحياة والفرد والمجتمع ، وبالتالي في فهم الفن والادب جملة وتفصيلاً .

هذا يعني ان الخلافات التي نشبت على صفحات هذه المجلة ، وفي غيرها من المجلات ، بين الادباء والنقاد لم تكن محض ادبية ، وانما هي في جوهرها ، فلسفية. فاذا اردنا ان ندرس النقد العربي والرسالة التي اداها في ادبنا المعاصر ، وجب علينا ان نعود الى المناهج الفلسفية التي اعتمدها كل ناقد عربي معاصر ...

الآداب

لا شك في ان النقد الغربي قد أسهم بقوة وخصب في إنهاض الادب الغربي . فهل أدّى النقد العربي مثل هذه الرسالة في تقويم أدبنا المعاصر وتوجيهه ؟

وهنا، في هذه النقطة من موقفنا، نستطيع ان نقارن بين النقد الغربي والنقد العربي ، فالذي انهض آداب الغرب حقيقة وواقعاً ، انما هو الرقي الفكري او الفلسفي، ولم يتقدم النقد إلا بتقدم الفكر عامة في جميع الجهات والزوايا، وتحرر الفلسفة الغربية من كل القيود التي تشل الافراد والمجتمعات .

ثم ان النقد يحتاج ، كي ينمو ويزدهر ويعطي الثار المنشودة ، الى ثلاثة اشياء اساسية : معايير دقيقة واضحة ، وثقافة عميقة شاملة ، واهداف انسانية رفيعة . وانه لمن المؤسف ان يلاحظ كل منا ان المعايير التي يعتمدها نقاد العربية اليوم ، مستوردة من الخارج ، بمعنى انهم يعتمدون ما يسميه الفلاسفة « التفكير بالمقابلة » ، ويطبقون هنا نظريات نشأت هناك ، وليس لهم فيها يد او حيلة او اثر ..

ويلاحظ ايضاً ان النقد العربي — ادبياً كان او اجتماعياً او سياسياً — لا يقوم اليوم في ديارنا على اساس من « الاحاطة » بالانواع والمعارف والاتجاهات ، ولا يهتم بالاختصاص ، او يفكر بالتخصص ، وانما ينبعث إذ ينبعث ، عن احاسيس غامضة ، واهواء شخصية ، ونزعات غير محددة او مترابطة ، حتى ليشعر الاجنبي ان الناقد عندنا « غير مسؤول » عن الاحكام التي يلقيها،وانه «غير عارف» بالعلاقات التي تربط الموضوعات والعلوم والفنون.

ويلاحظ اخيراً ان عربي اليوم لا يفصل بين العمل وعامله ، بين الشخص وفعله ، بين الكتاب ومؤلفه ، مما يشير الى ان اهداف النقد في بلادنا لا تزال شخصية ، غريبة عن القيم ، بعيدة عن المثل الانسانية العليا ، فالناقد

يستغل خطأ المنقود حين يقع على زلة ، او يبالغ في الحسنة حتى ليعمى عن السيئة ، وهلم جرا ...

اذا كان لهذه الملاحظات من معنى – ولا بد لها من معنى – فمعناها ان النقد العربي اخفق الى يومنا هذا ، في تقويم ادبنا المعاصر وتوجيهه .

غير اننا لا نستطيع ان نعتبر النقد نفسه «مسؤولاً» عن هذا الاخفاق ، فالتبعة في ذلك كله ، تقع على عاتق التربية المنزلية ، والمدرسة ، وطرائق التعليم ، ووسائل التثقف ، ومناهج الدراسات الثانوية والجامعية ، والتوجيهات العامة التي تخضع لها البلاد العربية .

جواب الدكتور لويس عوض

نعم يا سيدي ان النقد العربي قديمه وحديثه قد اسهم في تقويم ادبنا المعاصر وتوجيهه .

انظر مثلاً الى حال الادب العربي منذ نصف قرن في شكله وفي مادته ، وما صار اليه من تحرر لا بأس به في الشكل وفي المادة . ولكي يثمر القول في هذا الحيز الضيق يتعين علينا ان نقتصر على الكلام في شكل الأدب .

لقد كنا منذ نصف قرن لا نكتب النثر إلا ونلتزم السجع وبقية محسنات البديع والبيان التي تعلمناها على القدماء بوجه عام وعلى اصحاب المقامات بوجه خاص . بل ان التزام السجع وما اليه من ألاعيب اللفظ قد تجاوز لغة الادب الانشائي المتأني ودخل في اللغة التي تخاطب بها الجماهير وهي لغة الخطابة ، ولا يزال بيننا الى اليوم رجال من بقايا الماضي ان تكلموا سجعوا وان كتبوا تأثروا خطى الحريري وبديع الزمان .

فماذا تقول في اختفاء السجع وبقية المحسنات البديعية والبيانية في يومنا هذا إلا انه نتيجة لتوجيه النقاد الذين ثاروا على قواعد الأداء القديم مسايرة منهم لروح عصرهم الذي يضيق بالأناقة من الخارج ويتعلق بالمغزى اكثر من تعلقه بالصورة ؟

ان مهمة الناقد مهمة يطول الكلام فيها ، ولكني احب ان اقول انه اذا كان تعريف الاسلوب عند الناقد الفرنسي الكبير ريمي دي جورمون هو تحديد الحساسية فالناقد هو المحدد لهذه الحساسية ، وهو في هذا الصدد لا يختلف عن الاديب الخلاق في قليل او كثير . والفرق الاوحد بين الادب الخلاق والنقد الخلاق هو الفرق بين التركيب والتحليل او بين الانشاء والتفهم .

وما من شك في ان النقد وحده ما كان ليغني او ليحدث ثورة في ادبنا العربي الحديث لولا انه قد صاحبته حركات انشائية اعطت النماذج الجديدة للحساسية الفنية الجديدة سواء في صورة الادب او في مادته . ولكن ما من شك كذلك في ان هذه النماذج الانشائية ما كانت لتكون ، وان الجديد ما كان ليخرج من القديم لولا نشاط الناقد الذي يتقدم الصفوف الى تحطيم البناء المتداعي والى ازالة الاتربة والانقاض ليفسح المكان لهذا الطراز الجديد . فالناقد الخالق اولاً وآخراً هو الاديب الثائر الذي به تتحقق ثورة الادب .

وما دمنا نتحدث في صورة الادب فاني احب ان الفت النظر الى المعركة القائمة اليوم حول صورة الأدب بين استاذنا الدكتور طه حسين وبين تلاميذه في مختلف بلاد الشرق العربي .

أولست ترى معي ان ما نراه الآن من قلق بين مفكري الشباب إن هو إلا قلق ناجم عن إحساس الشباب بأن حاسية العهد الماضي ومفهوماته قد اندثرت جميعها أو اكثرها او هي في سبيلها الى الاندثار ، وان هناك حساسية جديدة ومفهومات جديدة قد استجدت واستشرت درجة درجة في المجتمع العربي حتى غدت هي الأصل وكل ما عداها هو الفرع ، وهي لهذا تضيق بالقوالب التقليدية وتشمئز من المضمون الفكري والعاطفي المألوف فتبحث لنفسها عن مخرج وعن تعبير يتفق وطبيعة الحياة في ١٩٥٤ ؟

فكيف إذن نشك في ان النقد العربي يوجه الأدب العربي ويرسم له الطراز ويحدد له المضمون ويبلور له الحساسية ، تلك الحساسية التي لا أدب إلا بها ، والتي لا يكشف عن تجددها من عصر الى عصر إلا الناقد الثائر ، الناقد الخلاق .

جواب الاستاذ عادل الغضبان

نعم أدى النقد العربي مثل تلك الرسالة في تقويم أدبنا المعاصر وتوجيهه ولا يزال يؤديها . وحسب النظرة العجلى الى مكتبة النقد العربي وما حفلت به من أسفار والى الصحف والمجلات وما استوعبته في انهارها من دراسات في النقد لنوقن ان النقاد قد وفوا قسطهم للادب .

نشأ النقد في ادبنا المعاصر مثل نشأة ادبنا نفسه فكان في اول عهده محاكاة لنقد الاقدمين كما كانت الحال في فجر النهضة الادبية مما هو معروف مشهور ، فنزل الى حلبة النقد رجال امتلأت جعابهم بما وقفوا عليه من نقد القدامى من مثل « طبقات الشعراء » لابن سلام و « ادب الكاتب » و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة و « نقد الشعر » و « نقد النثر » لقدامة بن جعفر و « الموازنة بين ابي تمام والبحتري » للآمدي و « الوساطة بين المتنبي وخصومه » لعلي ابن عبد العزيز الجرجاني و « درة الغواص » للحريري الى غير ذلك من كتب النقد فتأثروها واداروا نقدهم على مواضع الزلل يتلمسونها في الألفاظ التي تند عن القياس او السماع ويتقصونها في المعاني المبتذلة او المطروقة او المسروقة .

ففي مثل ذلك الجو القديم نشبت معارك النقد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وطار عجاجها . نذكر منها على سبيل المثال مواقع الأحدب والأسير وناصيف اليازجي ثم مواقع الشدياق وابرهيم اليازجي ثم حملة ابرهيم اليازجي نفسه على العرب والمولدين والمعاصرين ممن تنكبوا وجوه الصواب في الفاظهم وتعابيرهم ، وتبعه في ذلك بعده نفر غير قليل نبهوا الى كثير من عثرات الأقلام في آثار المعاصرين .

وكان النقد في اثناء تلك الحقبة وفي مطلع القرن العشرين قد تحرر بعض التحرر من ربقة القدماء فتطلع الى آفاق جديدة يستجلي من وراء النص المنقود بواعث النفس والبيئة والعصر ، ولنا ان نعد « الوسيلة الأدبية » للشيخ حسين المرصفي باكورة طيبة في هذا المنحى الجديد .

ثم ازداد فجر النهضة سطوعاً وتألقاً ، واتسعت رقعة الأدب وموضوعاته ، واتجه الشرقيون الى أدب الغرب ينهلون من ينابيعه ويقعون منه على كل طريف جديد . فكان النقد في جملة ما جذب اذهانهم واستهوى افئدتهم فاقبلوا عليه وألموا باطرافه وجاسوا خلال حدائقه فاستقام لهم فيه مذهب جديد ما عرفه الأقدمون من نقاد العرب كل المعرفة فجالوا فيه وصالوا وكان للأدب منه ثروة وغنى .

ونمت تلك الثروة نمواً عظيماً في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين حتى اجتمع للمكتبة العربية آثار نفيسة في النقد جرت مجرى مثيلاتها من آثار النقاد الغربيين فكان من اسس تلك الثروة « الديوان » للعقاد والمازني و « حديث الاربعاء » لطه حسين و « ساعات بين الكتب » للعقاد و « الغربال » لميخائيل نعيمة و « على المحك » و « مجددون ومجترون » لمارون عبود و « الدراسة الأدبية » لرئيف خوري و « كتب وشخصيات » لسيد قطب الى سلسلة طويلة للنقد صافية المعدن قوية الحلقات .

ولا جدال في ان إنتاج النقاد كان له الأثر البين في انتاج الادباء والشعراء وإن قسا عليه في بعض الأحيان رجاء ان يصل به الى ذروات الكمال .

ولم يقف النقاد عند آثار الأدباء والشعراء ينقدونها ويقيسونها على اقيسة الذوق العام ويزنونها بموازين المشهور المأثور من قضايا العلم واحكام التاريخ والفن. بل عمد فريق منهم الى ان يجعل من النقد علماً يقوم على قواعد معينة محدودة،فاستوحى ارسطو وابن رشيق وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي ومن لف لفهم،واستمد من مقومات النقد في الغرب ما يصلح ان يقاس اليه الادب الغربي واخرج للناس علماً له اصوله ومناهجـــه وقواعده . واول من طرق هذا الباب في النهضـــة الحديثة على ما نعلم.هو المرحوم قسطاكي الحمصي في كتابه « منهل الوراد في علم الانتقاد » ثم عالج مثل هذا الموضوع في العهد الأخير نسيب عازار وانيس المقدسي وسيد قطب ومحمد مندور وغيرهم .

وطال نفَس النقد حتى رأينـــاه يخرج عن نقد آثار بعينها الى الضرب في مناكب الفن يستنبط منه القضايا العامة ويعرض لأصولها وفروعهـــا في اسلوب مبتكر على نحو ما فعـــل سيد قطب في كتابيه « التصوير الفني في القران » و« مشاهد القيامة في القرآن » وعـــلى غرار ما قام به شوقي ضيف في كتابيه « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » و « الفن ومذاهبه في النثر العربي » وسواهما كثيرون بل ذهب بعضهم الى ابعد من ذلك فطوع علم النفس لعلم النقد وإنك لتجد آية هذا في كتاب « الأسس النفسية للابداع الفني » لمصطفى سويف .

وتسألني بعد ذلك ما اثر النقد في ادبنا المعاصر ? إنه اثر الغيث العميم في الأرض الخصبة .

جواب الاستاذ محمد روحي فيصل

النقد الادبيعندنا لم يحقق رسالتهحتى الآن على نحو ما حققها عند الغربيين. لقد اوشك ان يصير فناً بذاته ، وكاد ان يتوضع على اساس ، ويحسب له حساب ، ويعطي على الجملة نتائجه المرجوة لولا ان قادته المعروفين قد تخلوا عنه الى الوان اخرى من الادب والفكر والفن،بعد ما نشطوا له وتوفروا عليه منذ نيف وعشرين عاماً.وهذه حلبة النقد تخلو اليوم إلا من ناشئة الكتاب على وجه التقريب ، يمدحون او يذمون وهم يحسبون هذا نقداً ..

للنقد مقومات لا ينهض الا بها ، اهمها الذوق المرهف ، والتجربة الحية، والثقافة الفنية، ومعرفة الحقائق النفسية، والحقائق الجمالية، والحقائق الفلسفية، والحقائق الاجتماعية . فمن فاته بعض هذا او اكثره او كله ، كان نقده لآثار الآخرين كلاماً لا يفيد الا في تسويد الصفحات !

آية ذلك الآن ان صوت النقد عندنا لا يستجيب له المنقود إلا بمقدار. ان دباءنا ليمضون في انتاجهم بمعزل عن الناقدين ، وانهم ليكتبون ما شاؤوا على اساس من مواهبهم لا يحفلون بتوجيه ولا يعملون عـــلى تقويم ، لأن من يتصدى للتوجيه والتقويم لم يحسن استعمال هذا السلاح ، ولم يعد له عدته، ولم يفهم قدرَه واثره . فانقطعت تقريباً الصلة المفيدة الحارة بين النقدة والمنتجين.

واحب ان يعلم كل ناقد ان نقده ينبغي ان يندّي خيوطه حب وتعاطف، لأن المنقود اذا لم يستشعر من ناقده انه يحبه ويكبره ، ويريد له الخـــير ، ويتمنى لأدبـــه السيرورة والرفعة ، ويتعاون معه على الاصلاح للوصول الى الكمال – أبى واستكبر وقال ان الناقد يريد ان يكتب وحسب ...

ان الصراع بين الناقد والأديب موجـــود بطبيعة الحال ، حتى لقد قال برنارد شو : « القادر يعمل ، اما العاجز فينتقـــد » وصرح احد الشعراء : « الفاشلون في الادب والتأليف يكونون نقدة غالباً » . فليس يخفف من حدة هذا الصراع او يمحوه الا الناقد البارع الذي يعرف كيف يسرق نفس الاديب المنقود ، بالعاطفة الصادقة والقلب الودود ، ليوجه ادبه في الوجهـــة التي يرغب ويريد ، على رضا صميمي ، وفي يسر وانقياد .

اما الناقد الذي ينطوي نقده على شعور الكراهية والاستعلاء، ويهدف الى التشهير والعداء ، فليس له ابداً الى نتاج المنقود سبيل ! ومن ينكر علي هذا ، فامامه شوقي وشعر شوقي ، حيال العقاد ونقد العقاد ، واضح للعيان مرموق المثال ، على الرغم مما في نقد العقاد من حسن الرأيوقوة الاطلاع.

ان رسالة النقد العربي لا تتأدى في ادبنا المعاصر الا بالناقد المخلص للادب والادباء ، الذي يقوم نقده على نزاهة القصد وسمو الغرض ، بالاضافة الى المعرفة والاصالة والابداع .

ومثل هذا الناقد هو ايضاً اديب ، بل اديب كبير ، سيما اذا كان صاحب شعور صادق مبسوط بالخيال ، وبيان رائع موصول بالحياة .

وهو ناقد ملحوظ عند الغربيين في كل حين ، وله مكان في تاريخ نهضاتهم الادبية . وقد كان عندنا منه في العصر الحاضر قبس ، شع واضاء ثم خبا ، وهو اليوم مضطرب متخلف وراء زمرة المؤلفين .

اين من يدلني على الناقد الحق في العالم العربي،لأهتف ملء فمي على الفور: ان مشعل النقد يحمله رائد الادب الحديث ...

جواب الاستاذ شاكر مصطفى

ما ادري إذا كنت اتنكر للسؤال نفسه إذا قلت اني لا افهم النقد على انه عمل (تربوي) ومهمة توجيهية لهـــا لحية الوقور العاقل وعصا (شيخ الكتاب) !

.النقد ، عندي ، لون من الوان الأدب ، فن مبـــدع مستقل كالشعر والقصة ، وفن سيد وليس بأجير . ولا غاية له سوى الغاية التي ينتهي اليها كل فن آخر . فليس هدفه ان يتسلق ، كعروق اللبلاب ، على الجذوع الضخمة ، ولا ان يمسك بالمطرقـــة لتقويم المنآد ، كمثقفي الرماح في العتيق البالي من الايام ، ولا ان يرمي البخور في المجـــامر حتى يدرج الخدر في نفوس المبدعين فاذا هم آلهة او بعض من آلهة !

النقد تكوين جديد للانتاج الفني ومعاودة للخلق . ومهما يبرع الناقـــد فان يده لا تكمل الاثر الفني ولا تضعه في الميزان النهائي ولكنها تجدد النظر اليه وتعرضه تحت نور جديد . وكل قارىء، بهذا المعنى ناقد . وانما تتفاوت انصباء النقاد من جهـــة ، بتفاوت الثقافة والقدرة على الابداع وتفتيح الكوى ... كما تتفاوت من جهة اخرى بتفاوت الآثار الفنية ، ومقـــدار قدرتها على الايحاء وخصبها في التعبير عن اوسع دائرة من النفوس .

لا ! ليس النقد صنعة ولا مهمة وانما هو الأدب منعكساً على ذاتـــه . والناقد لا يضع الحدود الفنية ولكن يستنبطها ، ولا يتبع المبدع الشرود ولكن يكتشفه ويروي مغامرته معه . ويبلغ الناقد الغاية حين يستطيع ان يمد في المتعة الفنية التي يحملها الاثر الفني وحين يبتكر زاوية جديدة للنظر فيه وأفقاً ما خطر ، حتى ببال المبدع الاول ! اما النقد عـــلى اساس التصفيق والشتم فسخف ، واما تعيين الرديء والجيد من نتاج الفكر فعمل يصلح لبائع الخضار !

ولا « اصول » في النقـــد ولا فروع ولا ما يعرفون ... (إلا ان يتعلق الامر بنقاش في الصرف والنحو) ، وسخافة من يقول بذلك كسخافة من يريد ان يجري البحر مرغماً ما بين فتحتي انفه وفمه ! ولعله لهذا يتندر الادباء الحقيقيون بالنقد الجامعي « الاصولي » ويضيقون به . وما افكه عبيد « الاصول » حين يتحدثون عن الفن ! انهم يتصورون ان في استطاعتهم ان يلبسوا نزوات النفس المبدعة ، حذاء النظام العسكري وثياب المـــادة القانونية ... وهم يشرّحون فاذا لديهم « جثة » الادب فقط وقد فرت الروح وهل عرف الناس مبدعاً انتج ضمن نطاق القوانين النقدية ? او « فناناً » قدم

موازين النقاد بين يديه ثم اقبل يصوغ سعره أو يعدل لوحته وفق هواها ؟!

وبعد فاني اومن بالنقد واحبه على انه فن ادبي خاص ولكني لا اعتقد ان وجود النقاد ضروري لتقدم الادب . ولا اظن ان النقد يؤثر في تقدم الادب ، او تأخره او توجيهه، ولكن في عمق تذوقه ! انه لم يبق من تلك العاصفة النقدية التي اثارتها مجلة (العالمين) في القرن الماضي ، في فرنسا ، إلا هذا التذوق المرهف ، وما انتج (تين) و (سانت بوف) و (لوميتر) و (برونوتيير) شيئاً يغير وجه الادب سوى ادبهم الخـــاص ! وما فرض (راسكن) نفسه على الادب الانكليزي في العصر الفكتوري الا بمقدار ما عرض هـــذا الادب من خلال نفسه وذوقه واسهم فيه . وهؤلاء الذين تحملهم الصحف الكبرى مشقة النقد يظلون صحفيين مغمورين ، وعلى هامش الأدب الخالد حتى تفيء نجمة الساحر في عصاهم ، حتى يصبح نقدهم في ذاتـــه ادباً ... ابداعاً خالصاً .

واعطف اخيراً الى بلادي فأوثر الصمت! الصمت المترفع السمح . « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » .

بلى ! يمكث في الارض .

جواب الاستاذ انور المعداوي

في معرض الجواب عن هذا السؤال ، اتوقع ان تقول الكثرة الغالبةمن النقاد ان لم تكن الكثرة المطلقة : نعم ... وهنا اقف وحدي لاقول وانا مطمئن الى وجهة نظري الخاصة : لا ... ذلك لان النقد العربي في رأيي لم يستطع ان يسهم بقوة وخصب في انهاض ادبنا المعاصر !

هؤلاء الذين سيقولون: نعم ، قد تكون وجهة نظرهم مستمدة من واقع الادب العربي بين ماضيه وحاضره ... هناك تطور لا شك فيه ؛ تطور شمل فنون الأدب سواء ما عرف منها بالامس وما اضيف اليها اليـــوم ، كمرحلة انتقال جديدة لم يبلغها الادب القديم . حسبنا ان نقول ان مفهوم الادب قد تغير ، لندرك على الفور ان تلك النقلة قد احدثت اثرهـــا في كل شيء : في الطابع والطريقة ، في الشكل والمضمون ، في الفهم والتذوق ، في التبعـــة والمسئولية ... حين تتحول التجربة الى تعبير مكافح في سبيل الجماعة !

كل هذا معترف به ولا يجادل فيه ولكن ... هل النقد العربي المعاصرهو الذي قاد حركة التجديد في الادب، ونقل اسلوب التعبير من وضع الى وضع او منهج التفكير من حال الى حال؟ النقد المذهبي كأداة مؤثرة تتكاتف مع غيرها من الادوات ، هو وحده الذي يستطيع ان يسهم بنصيب كبير في تأدية هذه الرسالة ، فهل وجد عندنا يوماً مثل هذا اللون من النقد ؟ هـــل وجدت هذه « المذهبيـــة » التي تضع القواعد والاصول ، وتحدد المفاهيم والمقاييس ، وترسم خطوط الاتجاه الفكرية والنفسية ، ليتخذ الموضوع قالبه الاصيل في الفن ودوره الفعال في الحياة ؟

لم يوجد مثل هذا اللون على التحقيق ، وانما ظل النقد عندنا محصوراً في افق ضيق لا يكاد يتعداه : ينظر في الاثر الفني ثم يتناوله بالتعليق مؤيداًلهذا الاتجاه او مفنداً لذاك ، حتى اذا خرج بوجهة نظر فنية كانت وجهة نظره مستمدة من الاثر نفسه لتعرض بعد ذلـــك كنموذج جديد ! مثل هذا النقد الذي يقتصر على « الاستعراض » و«التسجيل» مستوحياً مادته من الموضوع المعروض عليه ، او من موضوع آخر في مجال آخر ، لا يمكن ان يشارك في خلق نهضة فنية من اول مقوماتها ان تهدم اوضاع لتقام في مكانهااوضاع تبعاً لمبدأ البقاء للأصلح حين يطبق هذا المبدأ في ميدان الفنون ! لو عرف النقد العربي اصول « المذهبية » التي عرفها النقد الغربي لأمكننا ان نحـــدد دوره الحقيقي في هذه الوثبة التي وثبها ادبنا الحديث ، والتي يجب ان ترد الى عامل آخر هو عامل التفاعل مع الثقافة الغربية !

هذا التفاعل الثقافي الذي اعنيه هـــو الذي احدث هذه الانتفاضة في شكل الادب العربي ومضمونه ... احدثها في القصيدة والقصة والمسرحيةعلى التخصيص ، عند كتابها الذين وجدوا النموذج المحتذى في قراءاتهم الاجنبية فبدأوا حياتهم مقلدين، ثم انتقل بعضهم من مرحلة المحاكاة الى مرحلة الاصالة، وبذلك دبت الحياة الحقيقية في كيان ادبنا المعاصر من هذا النتاج الغربيالذي اطلعوا عليه وتجاوبوا معه ، واخذوا من نسيجه بعض الخيوط لفنهم ثم كان لهم بعد ذلـــك نسيجهم الخاص ، عرفوا ان القصيدة شيء آخر غير الالفاظ المرصوصة في اوعية الوزن والقافية ، وان القصة شيء آخر غير الحكاية المسلية التي تنتهي بمفاجأة ، وان المسرحية شيء آخر غير الكلمات المصبوبة في حوار ، لأن هذا النتاج الذي توكأوا عليه فترة من الزمن هو الثمرة التي اسهم في انضاجها ذلك النقد الابداعي الذي اشرنا اليه .

هؤلاء الذين احدثوا هذا التطور هم وحدهم الذين التقوا بالثقافة الاجنبية ولم يلتقوا بالنقـــد العربي ، بدليل ان الذين تخلفوا عن ركب تلك الثقافة حيث اقتصر اطلاعهم على الثقافة العربية ، لم تتغير نظرتهم الى مفهوم الادب الذي استقر في اذهانهم كانعكاس مباشر لثقافتهم الموروثة ، اعني ان النقد العربي المعاصر بصورته الراهنة لم يستطع ان يؤثر في اتجاههم الادبي فينقله من الجمود الى الحركة ومن الموت الى الحياة !.

جواب الدكتور محمد مندور

تتطلب الاجابة على هـــذا السؤال ايضاح مراحل تطور الادب العربي المعاصر ، ذلك التطور الواسع الذي ساهم النقد في تحقيقه مساهمة قوية بحكم ان النقاد كثيراً ما كانوا اوسع ثقافة واكثر اتصالاً بالآداب الغربية ، بل والعربية ، من الأدباء المنشئين .

والواقع ان الأدب العربي كان قد وصل في القرن الماضي الى مستوى سحيق من الانحطاط حتى اصبح زخارف لفظية خالية من كل مادة انسانية ، حبيساً في صوره البالية المتوارثة من شعر كان يسمى غنائياً شخصياً ، ورسائل وخطب نثرية مسجوعة تدور حول اتفه الموضوعات ، فلم يعد فيها حتى تلك النغمة الخطابية الرنانة ، وذلك الخيال الحمي القريب المنال اللذان يتميز بهما الشعر العربي القديم - وعندما قامت حركة الانبعاث الاخيرة ارتكزت على اتجاهين ، احدهما بعث التراث العربي القـــديم والرجوع اليه لدرسه ومحاكاته، والآخر فتح النوافذ للآداب والاتجاهات الغربية ، ودارت المعركة بين الاتجاهين تحت اسم « المعركة بين القـــديم والحديث » واسفر الجدل عن انتصار القديم في ضرورة المحافظة على سلامة اللغة وقوة الصياغة كما اسفر عن انتصـــار الحديث في توسيع مجال الأدب وصوره وتوجيهه نحو القيم الانسانية الجديدة ، فاصبح شعرنا لايقتصر على الغناء والخطابة بل دخل فيه عنصر الملاحم وعنصر الدراما ، كما ظهر في الغناء الخالص ذلك الصدق وتلك الألفة المحبوبة المؤثرة التي سميناها بالهمس ، واصبحت لدينا تمثيليات شعرية لم يصل فيها فن الدراما الى اكتمال قوته ولكنها تعتبر فتحاً جديداً في الادب العربي ، كما ظهر في مجال النثر القصة القصيرة والمقالة الادبيـــة فضلا عن الروايات التحليلية والوصفية الطويلة .

واذا كان النقد الادبي لم يستطع حتى اليوم ان يخلق في الادب العربي مدارس ومذاهب على نحو ما خلق عند الغرب، فان من الواجب ان نعترف بأن النقد لا يستطيع خلق تلك المذاهب والمدارس الا اذا تهيأت لهـــا العقول والاذهان بحكم ملابسات الحياة ومقتضياتهـــا ، فمن المعلوم مثلا ان الرومانسية حالة نفسية اكثر منها مذهبا ادبيا وان الحياة هي التي خلقت تلك

الأرض التي وزعها المذياع

وأدرت مذياعي على صوت.. كمنزلق الصخور..
ينهدُّ .. كالشلال أسرف في التدفق .. والهدير ...
ويرق حيناً . . . فهو ألينُ في المسامع من حرير ...
وحبست انفاسي على مِزَق ..من «النبأ» المثير...
« الظلم .. حررنا البلاد مِنَ المآثم والشرور ..
والفقر .. لن يمشي له طيف على جفنيْ فقير ...
والجوع.. أشبعنا الجميع.. فصوته نغم السرور..
والعدل !.. يا للكوخ يلطم – باسمه – صدر القصور ..
والخصب .. أغرقنا القفار الجرد .. بالغدق النمير ..
والأرض !.. – واشتدت على الاسماع جلجلة الأثير –
الأرض .. للساقين تربتها بدمعهم المرير ...
للغارسين .. دماؤهم فيها مع الزرع النضير ...
لدعامة الوطن العزيز ، ونسغه السمح الطهور ...
الأرض .. للفلاح ... للعبد المسخّر .. والأجير ... »

★

ومضى « البلاغ » يهز مذياعي .. بمعجزة العصور ...
وتركته ... وأظنه ردّ الحياة إلى القبور ...

★

ووقفتُ .. فازدحمت على جفنيّ أطياف المساء ...
ولمحتُها... صُوَراً تعثَّرُ بالشهيق .. وبالبكاء ...
وتسمّرت عيني على « شَبَحٍ » تخضب بالدماء...
وأعدتُ « قصته » ... جراحُ الأرض في كبد السماء ...
وصراخ محرومين إلاّ من تأوهة الشقاء ...
وكفرتُ بالكف التي لم تمتلك غير الرثاء ..
هوذا .. خيال المشهد الدامي .. أجرره ورائي !..

★

الشمس .. تلتهم المسالك بالحرارة .. والضياء ...
والدرب .. درب القرية الغبراء .. أقفرُ من شتاء ..
تهدا .. وتذروها الرياح عجاجةً .. ملء الفضاء ..
هي في الحياة كسالكيها .. لا تزيد على هباء ...
ومن البعيد .. تلوح اكواخٌ .. وتغرق في الخفاء ...
متناثرات .. كالجماجم .. قد نُبذن إلى العراء ...
دعيت « بيوتاً » .. في الكثير من السماحة .. والسخاء ..

الحالة فسجلها الادباء وصدروا عنها .

ومع ذلك فالملاحظ – في جميع البلاد العربية – ان حركة النقد قد اخذت تتمخض اليوم عن اتجاهات ادبية تمليها الحياة ويوضح النقد بواعثها واهدافها ، فنجد اليوم من لايزالون يتشبثون بنظرية « الفن للفن » او « الادب للأدب » بينا نجد آخرين يقاتلون في حرارة ليعمل الادب في خدمة الحياة وخدمة المجتمع حتى يلقى استجابة من الجماهير التي طال بها الظلم واستعباد الفقر وضلال الجهل ، كما نجد اصطداماً في مجال الشعر بين الخطابة والهمس بعد ان اصبحت الروح العربية تهفو الى الصدق وتطمئن الى اسرار النفس البشرية التي لا يمكن ان تقال الاهمساً لما تتضمنه من آلام وآمال واحلام.

وليس من شك في ان الحملات الجبارة التي قادها النقد هي التي خلصت الادب العربي من الصناعة اللفظية التافهة ، وردته الى المعين الانساني العام ، كما فتحت عليه منافذ النسمات الغربية لتقضي على ما فيه من ركود وتعفن حتى اصبح الادب العربي المعاصر يسير في تيار الانسانية العام وان كان لا يزال في حاجة الى مزيد من القوة والاستحصاد حتى يساير ذلك التيار ويدرك طلائع القافلة.

جواب الاستاذ خليل هنداوي

أذكر اني كتبت منذ سنين بعيدة مقالة في وظيفة النقد ، واذكر اني خرجت الى رأي اقول فيه : « ان نقدنا الصحيح قد بدأ قبل ادبنا الشخصي الصحيح » . وقد كان هذا الرأي صحيحاً ، لأن نقدنا هو الذي وضع حداً « للأدب المبتذل ، والشعر المسخر » وهيأ طريقاً معبدة ، واضحة المعالم لأدب جديد يعبر عن شخصيتنا واهوائنا وافكارنا. وان نظرة واحدة الى ما نقرأ الآن مما ينتجه ادباؤنا في مختلف الاقطار العربية تثبت ان النقد هو الذي وجه هؤلاء الأدباء ، وساهم في تصحيح المقاييس الأدبية، والتوجيه الأدبي هو الذي يستمد من الحياة الصحيحة ، لا من الكتب . ولولا هذه المقاييس النقدية التي فرضت النظرة المستقيمة ، والذوق السليم لما طعنا في هذه الثروة الضخمة على ضيق الزمان والمكان . ومن ذا ينكر اثر « الغربال » لميخائيل نعيمة في توجيه الشعر من ناحية الى ناحية ، من ناحية الصيغ اللفظية والقوالب التقليدية الى ناحية المعاني والاحساس البسيط الصادق، ومن ذا يجحد نقد الجبابرة « طه حسين والعقاد والمازني » في ايام كان الأدب فيه فكرة محنطة ، وكان الادباء صانعين مقلدين ?

ومن هنا ارى ان النقد الحديث يعود اليه الفضل كله في توجيه ادبنا المعاصر.

اما النقد الحديث الذي حمل مشاعله رجال تفهموا الادب تفهماً مستقيماً ، ونقلوا فهمهم الى الميدان الادبي نقلا مستقيما فهم ابناء مدرستين لا ثالث لهما ... مدرسة النقد الغربي الناضجة التي استقامت موازينها في نقد الآثار

– التتمة على الصفحة ٧٩ –

الآداب تستفتي

البقية من الصفحة ١٨

والأفكار. وهذه المدرسة نفسها اتجهت اتجاهين متناقضين : الاتجاه المنهجي ، والاتجاه الانفعالي. اما الاتجاه الاول فهو يدعو الى نقد يتميز باللون العلمي ، ويتكىء على طرائق تكاد تكون « قواعد اساسية » وهي الطرائق التي وضعها نقاد الغرب امثال « تين » و « برونتيير » ويظهر اثرها عندنا في كتاب « ذكرى ابي العلاء » لطه حسين ، لأن هذا الكتاب في العربية اول مثال للنقد المنهجي الذي يعتمد التحليل والنصوص ، ويجعل من الأدب مادة تخضع لقواعد التحليل ككل مادة.

واما الاتجاه الثاني فهو الاتجـــاه الانفعالي الذي يجعل الناقد رفيقاً للاديب في رحلته ، يتلذذ بما يظهره ويرضى عنه ، وينقبض مما يسوءه ويأباه ، فنقده انما هو مجموعة انفعالاته وتأثراته . يبتعد عن القواعد لأنه يعتقد بأن الأدب لا يتقيد بقواعد ، ويكتفي بالكشف الروحي ، لان الكشف الروحي هو اقصى ما يصل اليه الأدب في انطلاقه ، كالنقد الذي جاد به « جول لوميتر » و « سانت بوف » و « اناطول فرنس » . ولعلك تجد مثل هذا النقد في آثار ميخائيل نعيمة (كجبران خليل جبران) والعقاد. وانا شخصياً اميل الى هذا النقد ، وأرى اللذة لنفسي في الاستمتاع بجمال الطريق دون ان اكترث كثيراً بالبلد الذي يصل اليه الطريق... في هذا النقد لا تهمني الحقيقة كثيراً وانما يهمني ويروعني جمال جنبات الطريق انى صار اتجاهه.

ولعل من الخير ان يتصف الناقد بالاتجاهين ، فيخدم الحقيقة والذوق معاً ، فهو لا يعطيك الحقيقة الجافة التي تجرد الادب من جماله ، ولا يعطيك الانفعالات الشخصية الضيقة التي لا يتحدفيها ذوقان. ومثل هذا النقد تراه في كتاب (ابن الرومي من شعره) للعقاد. وهو كتاب جمع بين المذهبين . والناقد هنا اديب بطبعه وذوقه ، وعالم ببحثه عن الحقيقة. وذلك خير من ان يأتي النقد موضوعياً جافاً ، او ذاتياً ضيقاً .

ولعلنا نغلو كثيراً حين نعين وظيفة محدودة للنقد ، لأن النقد كالأدب ، حدوده ألا تكون له حدود ، وقيوده ان ينعتق من كل القيود .

هل حجزت نسختك من الطبعة الثانية ؟

←

سارع الى حجزها قبل نفادها ...

- الكتاب الذي جمعته الوكالة اليهودية من مكاتب العالم واحرقته .
- الكتاب الذي نفدت طبعته الاولى بعد اسبوعين من صدورها .
- حقائق مثيرة عن مؤامرات الصهيونية وتضامن الولايات المتحدة وبريطانيا في بيع الارض المقدسة للصهيونيين .
- ثمن اسرائيل هو كتاب الموسم .

- مجموعة منتقاة من القصص السوفياتي الحديث .

→

- تزخر بالصور الصادقة المعبرة عن واقع الحياة في الاتحاد السوفياتي .
- كتبها سرجي انطونوف ، انور محمد خانلي ، ايوري ريتكدو ، فسفولود كوتشتوف .
- قدم لها الكاتب الروسي الكبير ايليا اهرنبورغ.

يصدر قريباً :

فيران ورجال — للكاتب الاميركي المعاصر **جون شتاينبك**

الورقة الاخيرة — للقاص الاميركي الشهير **او . هـــنري**

توزع في انحاء العالم بواسطة :

المكتب التجاري

للطباعة والتوزيع والنشر